ALHADAF NEWSPAPER

صحيفة الهدف اليومية

ملف الهدف الثقافي

الجمعة 28 أغسطس 2026م

تابع- شارك- تفاعل

العدد 105

انطلاق ملتقى جنوب السودان للشعر يعزز حضور "العربية" في جوبا

«مهرجان جرش يوسع تعاونه مع المؤسسات الثقافية العربية ويبدأ بالخرطوم»

كلمة العدد:

دع الخلق للخالق..

البشر خطاؤون، وليس منهم من هو معصوم؛ والتقرب إلى الله يكون بالعمل الصالح ومخافة الله في السر والعلن، ومدعاة للترفع عن الزلل والتزام جانب الفضيلة؛ وهذا الواجب فريضة وحق على كل المسلمين؛ والتقرب إلى الله مدعاة للحذر والتزام جانب الفضيلة أضعاف المرات.

لكن يظل الستر عبادة؛ إذ ليس من شيم المسلم الخوض في الأعراض، ولا من أخلاق الراشدين العقلاء تصفية الخصومات عبر أسلوب اغتيال الشخصية. ذلك سلوك ذميم، يلجأ إليه ذوو العقول الناقصة للاقتصاص من الخصوم، ظنًا منهم أن الفضيحة سلاح، وأن التشهير انتصار.

والحق أن ديننا سبقنا بميزان أدق. يقول تعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [البقرة: 134]

تشير الآية بوضوح: الأمر لله، ولسنا جهة حساب، ولا وظيفتنا أن نجلد الناس.

كما يقول الشاعر: "دعِ الخِلقَ للخالقِ وامشِ في دربِك فليسَ علينا حِسابُ الناسِ إنَ عَثروا"

لذلك يظل الاحتكام للقيم والمبادئ وصوت العقل ديدن أهل الرشد. واليقين الراسخ أن الدين في جوهره حصيلة مجموع الأخلاق والمبادئ التي نادى بها سيد البرية المصطفى ﷺ.

كان مدرسة تعلم منها خصومه قبل أصحابه. كان أدب النبوة يقود المذنب إلى الفضيلة، ويحول العدو بجميل الخلق إلى صحابي جليل.

التشهير لم يكن يومًا من خصال الرجال. ومواجهة الخصم لا تكون بالفضيحة والتنديد، لأن الفجور في الخصومة مسلك الضعفاء.

وتأتي الآية الكريمة لتغلق باب التتبع والمحاسبة: {مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} [الإسراء: 15]

لكل صحيفته، والحساب عند رب العالمين وحده، والوزر على صاحبه.

فإن زلّ امرؤ وارتكب خطأ، فأمره إلى الله. ليس من شأننا التشهير ولا الجلد.

وإن سقطَ امرؤٌ في ذنبِ عرضٍ فدعْهُ للذي سوّاهُ يحكمُ.

الستر أولى، والتسامي والارتقاء والترفع عن الذلة نعمة. ومجتمع الفضيلة هو المجتمع الذي تُصان فيه الأعراض والكرامات.

سليمان منصور.. رحيل الريشة التي حملت فلسطين إلى العالم

ببالغ الحزن، ينعى "ملف الهدف الثقافي" الفنان التشكيلي الفلسطيني الكبير سليمان منصور، صاحب التجربة المرتبطة بفلسطين أرضاً وهويةً.
حمل في أعماله ذاكرة المكان ووجع التهجير، متحولاً بفنه إلى وسيلة لمقاومة النسيان وحفظ الذاكرة البصرية لفلسطين.
من أبرز أعماله لوحة «جمل المحامل»، الأيقونة التي تختزل ثقل الوطن والمنفى، إضافة لوحات الأرض والزيتون والقدس.
ينضم برحيله إلى قافلة الخالدين: ناجي العلي، وغسان كنفاني، وكمال ناصر، ومحمود درويش، وإسماعيل شموط.
تفقد فلسطين واحداً من أبرز حراس ذاكرتها، وتفقد الحركة التشكيلية فناناً جعل من اللوحة شهادة وموقفاً.
الأعمال العظيمة لا تُدفن، بل تبدأ حياةً أخرى في وجدان الأجيال وذاكرة الشعوب.
خالص التعازي لأسرة الراحل، وللشعب الفلسطيني، وللحركة الثقافية العربية والعالمية.
سيغيب الفنان جسداً، لكن «جمل المحامل» سيظل يمضي في الذاكرة شاهداً على وطنٍ لا يغيب.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

كتاب "رأيت كل شيء" للبروفيسور صديق تاور يوثق للمرحلة الانتقالية في السودان

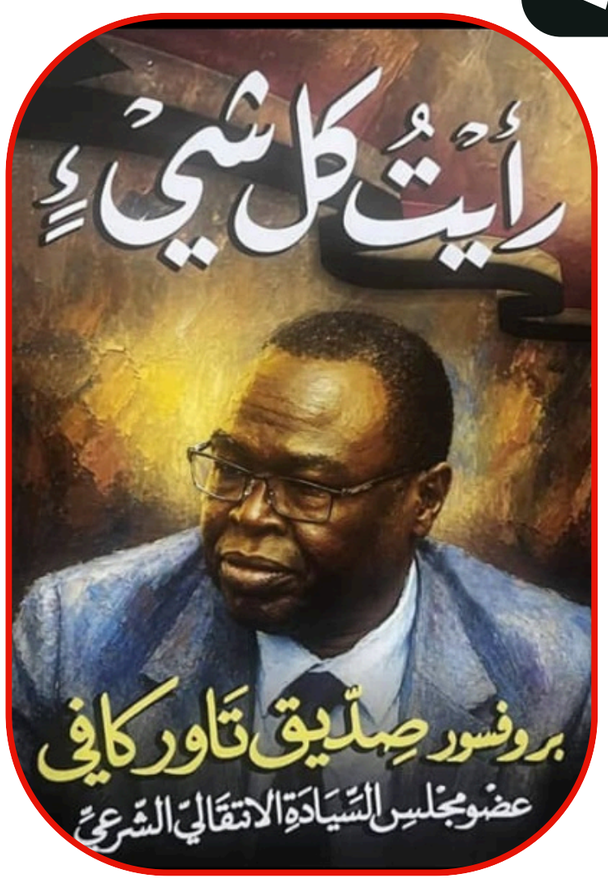

القاهرة: إلهدف
صدر حديثًا عن دار النخبة كتاب "رأيت كل شيء" للبروفيسور صديق تاور كافي، عضو مجلس السيادة الانتقالي السابق، ليوثق واحدة من أعقد مراحل التاريخ السياسي السوداني الحديث. يقع الكتاب في أربعة عشر فصلاً، مستندًا إلى معايشة مباشرة ووثائق رسمية من أرشيف القصر الجمهوري وصور فوتوغرافية.
يرصد العمل تطورات المشهد السوداني بدءًا ما قبل سقوط نظام البشير، مرورا بفترة الانتقال (2019-2021).
وانقلاب 25 أكتوبر، وصولاً إلى حرب 15 أبريل 2023. كما يستعرض محطات بارزة تشمل حراك ثورة ديسمبر، إدارة المرحلة الانتقالية، ملف السلام، والتطبيع، مقدماً قراءة متسلسلة للأحداث باعتبارها نتاج تراكمات سياسية.
ويؤكد المؤلف أن الكتاب يمثل شهادة شخصية لا دراسة أكاديمية، تكمن قيمتها في حفظ الذاكرة الوطنية واستخلاص العبر والدروس لمجابهة التحديات السياسية برؤية موضوعية بعيدة عن المماحكات.

آفاق جديدة للتعاون الثقافي.. مهرجان جرش يبحث تعزيز مشاركة المبدعين السودانيين

ملتقى جنوب السودان للشعر.. الشارقة تعزز حضور اللغة العربية في جوبا

وضاح عمر يحصد جائزة مهرجان قطر للصورة عن "نسج الأرض"

بحث المدير التنفيذي لمهرجان جرش للثقافة والفنون، يزن الخضير، مع السفير السوداني لدى الأردن، حسن صالح سوار الذهب، في العاصمة عمّان، آفاق تطوير الشراكات الثقافية وتعزيز حضور المبدعين السودانيين في الدورات المقبلة للمهرجان. وأكد الخضير سعي الإدارة لبناء شراكات فاعلة تدعم الفنون العربية، مشيراً إلى أن تحضيرات الدورة القادمة تتجه نحو توسيع نطاق المشاركات. من جانبه، أشاد السفير السوداني بمستوى التنظيم والتنوع الذي يميز فعاليات المهرجان، معرباً عن تطلعه لتعزيز الحضور السوداني في هذا الحراك الثقافي العربي. وفي ختام اللقاء، كرّم المدير التنفيذي السفير السوداني تقديراً لجهوده في دعم العلاقات الثقافية بين البلدين.

نظمت دائرة الثقافة بالشارقة الدورة الخامسة لملتقى جنوب السودان للشعر العربي في جوبا تحت شعار «غَرْس الشارقة يثمر شعراً وأصالة في إفريقيا»، بمشاركة 15 شاعراً وشاعرة. ويهدف الملتقى إلى تعزيز حضور اللغة العربية، دعم المواهب، وفتح مساحات للتواصل الثقافي بين القارة الإفريقية والعالم العربي. من جهتها، أكدت وزيرة الثقافة في جنوب السودان، سارة نياناث، أهمية الملتقى في دعم الثقافة العربية، مشيدة بجهود الشارقة ومبادراتها التي تشكل جسوراً لتواصل الشعوب واكتشاف الطاقات الإبداعية للشباب، ومعربة عن تطلعها لتوسيع آفاق التعاون المشترك بين البلدين.

حصد المصور الصحفي السوداني وضاح عمر جائزة مهرجان قطر للصورة - تصوير، المقدمة من هيئة متاحف قطر، عن مشروعه الوثائقي طويل الأمد «نسج الأرض»، ضمن عشرة مصورين متميزين من منطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا.
يوثق المشروع، الذي امتد لأكثر من عام ونصف، حياة لاجئين سودانيين في أوغندا عقب حرب أبريل 2023، من خلال متابعة أربعة أشخاص، بينهم امرأة، وهم يستعيدون صلتهم بالزراعة ويعيدون بناء حياتهم في بيئة ومجتمع جديدين.
واعتبرت نقابة الصحفيين السودانيين التكريم اعترافاً بقيمة التصوير الصحفي السوداني في توثيق آثار الحرب واللجوء، وتهنئة مستحقة لوضاح عمر.

سهل الطيب ليس مجرد خطاط ومصمم بارع، بل فنان يرى العالم بعين اللون ويمنح الحرف حياة تتجاوز وظيفته إلى فضاء الفن، وكاتباً يمتلك أسلوباً آسراً يجمع بين عُمق الفكرة وسلاسة التعبير على طريقة "السهل الممتنع". وقد حظيت مقالاته في "ملف الهدف الثقافي" بحفاوة واسعة وتفاعلات لفتت القراء لصدق رؤيتها وجمال حسها الإنساني.

وفي هذا الحوار الخاص، تقترب "الهدف" من تجربة الفنان سهل الطيب، لتستمع إلى رؤيته الملهمة حول دور المثقف في ترميم ما هدمته الحرب، وإحياء قيم السلام، ومواجهة خطاب الكراهية والعنصرية والجهوية، إيماناً بأن الثقافة تظل الطريق الأقصر نحو استعادة الوطن والروح.

حوار: عبد المنعم مختار

الخطاط والمصمم والفنان سهل الطيب لـ"ملف الهدف الثقافي":

الفن ينبغي أن يرافق الإنسان في الحرب كما في السلم

«لن أسمح للحرب أن تنتزع سكينة روحي»

أعرّف نفسي بوظيفتي الأولى...

في البداية، نود أن تقدم نفسك للقراء عبر بطاقة شخصية مختصرة، وتحدثنا عن أبرز محطات رحلتك الفنية والإنسانية؟

أفضل أن أعرّف نفسي بوظيفتي الأولى: خطاط لافتات القماش في سوق أم درمان. وأعتقد أن عبارة «سوق أم درمان»، رغم قصرها، تختزن عددًا هائلًا من التقاطعات الإنسانية المشتركة بين الناس الذين عاشوا في هذا الحيز الجغرافي العظيم، وكانت تلك المدرسة هي التي صنعت جانبًا كبيرًا من تجربتي الفنية والإنسانية.

متى اكتشفت شغفك بالخط العربي والتصميم، ومن هم الفنانون أو المدارس التي أسهمت في تشكيل تجربتك؟

الشغف بالفن يبدأ غالبًا في الطفولة المبكرة. هناك انجذاب داخلي نحو الخط العربي أو التلوين أو الكتابة، وهذا الانجذاب يقود صاحبه إلى البحث والتنقيب والتجريب، حتى يجد الإنسان نفسه وقد أصبح جزءًا من هذا العالم، لا مجرد متفرج عليه.

تمتاز أعمالك بحس لوني استثنائي، كيف تتعامل مع اللون، وما الفلسفة التي تحكم اختياراتك الجمالية؟

الحس اللوني هو حصيلة بحث وتجريب وانفعال دائم مع مساحات اللوحة. والاستثناء ضرورة لكل فنان، لأن لكل تجربة إحساسها المختلف، وهو ما يمنح العمل شخصيته الخاصة. وأنا أؤمن إيمانًا راسخًا بأن الفن ينبغي أن يرافق الإنسان في كل ممرات حياته؛ في الحرب كما في السلم، وفي الإقامة كما في النزوح، وألا يقتصر حضوره على صالات العرض أو مقتنيات الزينة، لأن الفن ضرورة قصوى لا فكاك منها.

إلى جانب الفن التشكيلي، عُرفت ككاتب يمتلك لغة جذابة وأسلوبًا سهلًا ممتنعًا. كيف تلتقي الكتابة مع الرسم في مشروعك الإبداعي؟

الكتابة والرسم نافذتان أطل منهما على العالم، ورئتان أتنفس بهما الحياة. وكما أرى أن اللوحة لا ينبغي أن تبقى حبيسة صالة العرض، فقد اتخذت من سوق أم درمان مدرسة للكتابة. وما زلت أرى نفسي مدينًا للأغلبية الصامتة من أهل السوق؛ فقد عشت بينهم، وعرفت هواجسهم وأحلامهم، وقضيت معظم سنوات حياتي مع العتالة، والعربجية، والكماسرة، والسماسرة، وصغار وكبار التجار.

حظيت كتاباتك بانتشار واسع في وسائل التواصل الاجتماعي. ما سر هذا التفاعل في رأيك؟ وكيف تنظر إلى تأثير المنصات الرقمية على المشهد الثقافي؟

أظن أن الناس وجدوا في كتاباتي ما كانوا يريدون قوله. ربما تسرعت قليلًا فكتبت وسجلت ما كان يعتمل في داخلهم، لذلك رأوني يتحدث بلسانهم. أما الفضاء الأزرق فهو سلة واسعة تستقبل عددًا هائلًا من الرسائل، لكن من الطبيعي ألا تكون كل تلك الرسائل جيدة بالضرورة.

كيف أثرت الحرب في السودان على حياتك الشخصية وتجربتك الفنية؟ وما الذي تشعر بأن الحرب انتزعته من الفنان والإنسان؟

دائمًا أقول: إذا كانت الجذور عميقة، فلا خوف على الأشجار من العواصف. ورغم الحزن والفقد، فلن أسمح للحرب أن تنتزع سكينة روحي أو إيماني الراسخ بأننا قادرون على النهوض من جديد. نحن ندفع اليوم الثمن الباهظ للغفلة، وكما قيل: على قدر الغفلة تأتي الصفعة، وإن لليقظة ثمنًا باهظًا.

برأيك، ما الدور الذي يمكن أن يؤديه الفنانون والمثقفون في ترميم الوجدان السوداني واستعادة الثقة بين أبناء الوطن؟

دور الفنان يتعاظم في أوقات الأزمات. فالمباني يمكن إعادة تشييدها متى توفر المال، أما ترميم المعاني والوجدان فيحتاج إلى جهد كبير، وهنا يأتي الدور الحقيقي للفن.

كيف يمكن للفن أن يواجه خطاب الكراهية والعنصرية والجهوية، وأن يسهم في ترسيخ ثقافة السلام والتسامح؟

دائمًا ما أقول إن الفن يشبه التطعيم ضد الكراهية والعنصرية. قد لا يوقف المرض بالكامل، لكنه يمنح المجتمع قدرة أكبر على المقاومة. ولذلك علينا أن نحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، لأن الفن ضرورة قصوى لا فكاك منها.

ما أبرز التحديات التي تواجه الخط العربي وفنون التصميم اليوم في السودان، وما الذي يحتاجه هذا المجال ليستعيد حضوره وريادته؟

دخول التكنولوجيا وبرامج التصميم أثّر على الخط بوصفه مهنة، لكنه في الوقت نفسه قدّم فرصًا جديدة للخطاط بوصفه فنانًا يمارس الخط كفن جمالي وإبداعي، وليس مجرد حرفة.

أخيرًا، ما المشاريع التي تعمل عليها حاليًا؟ وما الرسالة التي تود توجيهها إلى الشباب السوداني الذي يحاول أن يصنع الأمل وسط كل هذا الركام؟

أعمل حاليًا على إعداد مسودة كتاب بعنوان «هكذا نجونا... مذكرات حرب»، وهو مجموعة من النصوص التي تتناول سنوات الحرب وتحديات البقاء. أما رسالتي للشباب فهي ألا يفقدوا إيمانهم بالحياة، وأن يتمسكوا بالفن والجمال والمعرفة، فهذه هي الأسلحة التي تعين الإنسان على النجاة، وتمنحه القدرة على إعادة بناء الوطن والروح معًا.

حين يصبح المولد سلوكاً..
من حضرموت إلى المغرب تتحدث الرحمة في وجدان العرب

استطلاع: د. سلمى نائل

من السودان إلى المغرب، ومن مصر إلى اليمن وموريتانيا، تتعدد مظاهر الاحتفاء بالمولد النبوي الشريف، لكن خلف اختلاف الطقوس والعادات يبرز سؤال واحد: ماذا يبقى من معنى المولد في حياتنا بعد انتهاء الاحتفال؟

في زمن الحروب والانقسامات، تبدو سيرة النبي ﷺ أكثر من ذكرى؛ إنها استعادة لقيم الرحمة والعدل والصدق والتواضع والتسامح وصون كرامة الإنسان. ومن هذا المعنى استطلعنا أصواتاً عربية ترى في المولد فرصة لتحويل السيرة من مناسبة إلى سلوك.

«حين تسود الرحمة، تصبح الدماء والبيوت والأوطان أمانة»

من حضرموت، ترى بلقيس عمر أن المولد لا ينبغي أن يتوقف عند استعادة ذكرى الميلاد، بل يبدأ من القيم التي جاء بها النبي ﷺ: الرحمة والعدل وحفظ كرامة الإنسان، وهي قيم ترى اليمن اليوم في أمسّ الحاجة إليها بعد ما أنهكته الحرب.

وتؤكد أن أخلاق النبي ﷺ في التعامل مع الآخر، والرحمة بالضعفاء والعفو والتخلي عن الكراهية والانتقام، ينبغي أن تتحول إلى ممارسة يومية. كما تشدد على أن الاختلاف في المذهب أو الانتماء أو الموقف السياسي لا يحول الإنسان إلى عدو، فالإنسان يظل إنساناً قبل هويته وموقفه.

وتختصر رؤيتها بقولها: «حين تسود الرحمة، تصبح الدماء والبيوت والأوطان أمانة، لا ساحات لتصفية الخلافات».

«حين تسود الرحمة، تصبح الدماء والبيوت والأوطان أمانة»

من حضرموت، ترى بلقيس عمر أن المولد لا ينبغي أن يتوقف عند استعادة ذكرى الميلاد، بل يبدأ من القيم التي جاء بها النبي ﷺ: الرحمة والعدل وحفظ كرامة الإنسان، وهي قيم ترى اليمن اليوم في أمسّ الحاجة إليها بعد ما أنهكته الحرب.

وتؤكد أن أخلاق النبي ﷺ في التعامل مع الآخر، والرحمة بالضعفاء والعفو والتخلي عن الكراهية والانتقام، ينبغي أن تتحول إلى ممارسة يومية. كما تشدد على أن الاختلاف في المذهب أو الانتماء أو الموقف السياسي لا يحول الإنسان إلى عدو، فالإنسان يظل إنساناً قبل هويته وموقفه.

وتختصر رؤيتها بقولها: «حين تسود الرحمة، تصبح الدماء والبيوت والأوطان أمانة، لا ساحات لتصفية الخلافات».

حلاوة المولد في أم درمان.. مذاق التراث وتميُّز الطيب سيد مكي

عبد العزيز شين

ترتبط نفحات المولد النبوي برائحة السمسم المحمّص وحلاوة الفولية التي تملأ الأسواق والساحات. وتشتهر أم درمان بصناعة حلوى المولد، التي تحولت منذ عشرات السنين إلى تقليد شعبي وطقس من طقوس الاحتفال، يحمل ذكريات الطفولة ودفء التلاقي العائلي.

تعود جذور حلوى المولد إلى مصر في العصر الفاطمي، ومنها انتقلت إلى السودان مطلع القرن العشرين على يد الحاج إبراهيم عبداللطيف، الذي عاد إلى السودان عام 1916 حاملاً أصول المهنة التي تعلمها في مصر، واستمر عطاؤه حتى بداية ثمانينيات القرن الماضي.

ومنذ ذلك الحين، ترسخت الصناعة في أم درمان، لتصبح مركزاً لإمداد العاصمة والأقاليم بحلويات المولد، معتمدة بصورة أساسية على مكونات محلية مثل السمسم والفول والحمص والسكر والنشاء.

وتبقى الفولية أشهر أنواعها، إلى جانب السمسمية والحمصية وجوز الهند، فيما ظهرت لاحقاً أنواع أخرى مثل اللكوم والهريسة والعلف والسمنية.وللأطفال نصيبهم من بهجة المولد، إذ يصنع الحلوى أصحابها في أشكال مختلفة، أشهرها عروسة المولد والحصان، إلى جانب أشكال أخرى تستجيب لخيال الأطفال وذوقهم.

وتنتشر مصانع ومعامل حلوى المولد في عدد من أحياء أم درمان، خصوصاً حي العرب وحي المسالمة، حيث تتركز أعداد كبيرة منها.

ومن أشهر الأسماء التي ارتبطت بهذه الصناعة بقلاوة يوسف المصري، وآل الفكي، والمغربي، ومصنع الهلال، والحاج إبراهيم عبداللطيف وأحمد طه.

أما الطيب سيد مكي فيظل واحداً من أبرز رواد صناعة حلوى المولد، إذ تشهد خيمته ازدحاماً كبيراً من محبي منتجاته، لما اشتهر به من جودة وتميز.

ولم تعد حلوى المولد مجرد منتج موسمي؛ فقد أصبحت صناعة متجذرة في الذاكرة الشعبية، تتوارثها الأسر والخبرات جيلاً بعد جيل.وتظل حلوى المولد في أم درمان جزءاً من الهوية الثقافية والتراث الشعبي السوداني؛ صناعة تحمل عبق التاريخ ودفء التقاليد، وتحول مكونات بسيطة من السمسم والفول والسكر إلى مذاق يبهج القلوب قبل الأفواه.

ولذلك لا تقتصر شهرتها على السودان، بل تجعل السودانيين المغتربين في الخليج يطلبونها بالاسم، رغم أن صناعات المولد في بلدان أخرى قد تكون أكثر تقدماً في التشكيل والتغليف واستخدام المكسرات.

لكن الحلوى السودانية تحتفظ، في نظر محبيها، بمذاق مختلف؛ فهي ليست مجرد حلوى، وإنما ذاكرة كاملة للمولد، تختزن رائحة الأسواق، وبهجة الأطفال، ولمّة الأسر، وملامح أم درمان القديمة.

وهكذا، كلما أقبل المولد، عادت حلوى أم درمان لتؤكد أن بعض الأطعمة لا تُقاس بمكوناتها وحدها، وإنما بما تختزنه من ذاكرة وحنين وهوية.

مع الأهرام في عيدها الـ 150 عاماً

عبدالله رزق أبو سيمازة

تحتفي جريدة «الأهرام»، الأعرق مصرياً وعربياً، هذا الشهر بعيدها الـ150، بعد أن ظلت لعقود طويلة لا مجرد شاهد على العواصف التي مرت بالمنطقة، وإنما شريكاً فاعلاً في العديد من الأحداث المصرية والعربية.

وفي عالم يتسم بالتغير المتسارع، حافظت «الأهرام» على حضورها، وظلت صامدة بوصفها نموذجاً صحفياً لا يمكن تجاهله. ولعل هذه الاستمرارية تمثل واحداً من أهم أحداث القرن والنصف الماضيين، بما تحمله من دلالات لأجيال متعاقبة من الصحفيين.

فأسئلة من قبيل ملكية الصحف، أو ما استقر عليه الاصطلاح بالصحف القومية، وإشكالية الحرية والمسؤولية، وغيرها من القضايا التي تتجاوز أهميتها وأصداؤها الحدود، تبدو اليوم وقد وجدت إجابات على المستويين النظري والتطبيقي، بما يؤهل الصحيفة لخوض طفرة جديدة إلى الأمام.

ارتبطت «الأهرام» بالعديد من الأحداث المهمة في أزمنة التحولات الكبرى، وظلت في معظم مراحلها عاملاً فاعلاً في المشهدين المصري والعربي.

وتبدأ «الأهرام» الآن دورة حياة جديدة على إيقاع أعتى عواصف العصر، كما تتبدى في ثورة تكنولوجيا الاتصالات؛ تلك الثورة التي أعادت تعريف الصحافة والصحفي والقارئ، وأعادت النظر في كثير من المسلمات التي سادت منذ نشأة الصحافة الحديثة في بريطانيا وأمريكا الشمالية قبل قرنين من الزمان.

وفي خضم هذا التحول، بدا أن مستقبل الصحافة الورقية، التي كانت ولا تزال أحد أعمدة العمل الصحفي، أصبح على المحك.

وفي الذكرى الـ150 للميلاد، ربما يبدو ملائماً التساؤل: هل آن الأوان لأن تتحول «الأهرام» إلى الإصدار الرقمي، وتضع حداً نهائياً لإصدارها الورقي، على غرار ما فعلت صحف رائدة في أمريكا وأوروبا.

مثل «وول ستريت جورنال» و«نيوزويك» و«نوفيل أوبزرفاتور» و«جون أفريك» الأفريقية؟

هل يكون ذلك أحد متطلبات مواكبة التطور التكنولوجي وما يفرضه من تحولات عميقة على صناعة الصحافة؟

وفي إجابتها عن هذا السؤال، أفادت الأستاذة أسماء الحسيني، مدير تحرير جريدة «الأهرام»، بأن «الأهرام» تجاوزت ما يُتصور كمأزق وجودي يتعلق بالاختيار بين مصيرين؛ مؤكدة أن الجريدة تعمل حالياً بالإصدارين الرقمي والورقي معاً، وأنها تجتهد في استيفاء ما يتطلبه الوضع من تطوير حتمي، بما يحافظ على حضورها ويواكب التحولات المتسارعة في عالم الصحافة.

بِنية من طعم المطر

د. الشيخ فرح

بِنية
من لون القمح
ونُورها من وَهَج البروق
مسقِيه من مُوية الغمام
وصَباحها زي نَفَس الشروق
عطّرتِ بالخطوة العزيزة
جَفا التُراب
ورسمتِ في صُبح الحِلم
شُباك و بَاب
وكَتبتِ في صَدر الفرح
عِنوان كِتاب
فيهو الغَناوي
والحَجاوي
الخَدّرت فِينا اليَباب
نَلقاكِ فاتحة إيدينك
المَليانة بالشُوق والحَنِين
مُشرع وَفا
ولحظَة دَفا
وضَمّة رِضاءَ الوالدين
ومشوار وَطن

فيهو المَسادِير الحَكن
عَنْ حَسرة عَنْ مُر السِنين
جِيتِينا فوق ما نِشتَهي
صبِيّة مفتونة بْشبابها
مكسِية من توب الأرض
ومالِيه حُضنها من تُرابها
زي تباشير فجر لَوّن
فينا أشكال الكِتابة
وطَمّن النبض الشرد
واندس مدفون في سَرابها
حَجِينا عن حُزن الجَداوِل
والمَناجِل
وعن مُعاناة السَرابة
والقنادِيل المَحمّلة بالتعب
رويانه من عَرق الغَلابة
سُوقي العصافِير الشْكَت
تعب الرحِيل
وخَبّي القماري من الهَجير
وصالحي النحل وحُضن العبير
ورُدي الجريد
لي همسو في خد النخيل

وقُشي دمعات الأسى
الواسن غيابِك
وضَمّدي الجرح النزف
لما اتسرق في الليل شبابِك
وغنّي نُورك للظلام
واسي أحزان
البَكَنَ حَرَّ الظروف
وسوْط المَلام
والقُلوب الوالفَت
ما فيها خوف
من بُكرة أو مِن مُر كلام
يابنية جَمّلتي الحروف
يا بنية ليك مليون سلام

من ديوان «أمونة بت سيد أحمد ود سنادة»

وداعاً رائدة التربية والنهضة وأم الشهداء نفيسة المليك

البخيت النعيم

قال الشاعر الصادق أصغر:

ما مات من زرع الفضائل في الورى
بل عاش عمراً ثانياً تحت الثرى
فالذكر يحيي ميتاً ربما ماتا
الذي ما زال يسمع أو يرى

ودعتنا في شهر أغسطس ٢٠٢٦م المرأة التي تركت أثراً طيباً على الوطن، رائدة التربية ومعلمة الأجيال وأم الشهداء الأستاذة نفيسة أبوبكر المليك، إحدى رموز المجتمع السوداني، ابنة رفاعة التي وُلدت فيها عام ١٩٣٢م، وابنة أمدرمان التي استقرت فيها وصاغت شخصيتها الباذخة.

نفيسة المليك رمز نضالي وتربوي ونهضوي، تتكون شخصيتها من خليط من الوعي المبكر بقضايا الوطن والتعليم والعمل الثقافي والاجتماعي، وكانت كثيراً ما تهتم بتحرير المرأة، حيث كانت تقول إن التغيير والتطور في المجتمع مدخله تعليم المرأة، وكانت كثيراً ما تردد أشعار الشاعر عبيد عبد النور:

يا أم ضفائر قودي الرسن
وأهتفي فليحيا الوطن

اهتمت الأستاذة نفيسة المليك بقضايا التعليم في رفاعة والجزيرة، وعندما استقرت في أمدرمان ساهمت مع أسرتها في تأسيس مدارس المليك للبنات بالملازمين.

تخرجت الأستاذة نفيسة المليك من كلية المعلمات، وواصلت دراستها حتى نالت درجة الماجستير من جامعة مانشستر ببريطانيا عام ١٩٩٨م، كما منحتها جامعة الأحفاد للبنات درجة الدكتوراه الفخرية.

كما تعتبر الأستاذة نفيسة من مؤسسي اتحاد المعلمات، الذي تطور إلى نقابة المعلمات، حيث تولت رئاسة النقابة خلال الفترة من ١٩٥٠م حتى ١٩٥٣م. كما لعبت دوراً مميزاً في الدفاع عن حقوق المعلمات واحترام كرامتهن.

كما أسست مع والدها الشيخ أبوبكر المليك مدارس المليك للبنات عام ١٩٤٨م، وقد تولت الأستاذة نفيسة إدارة المدارس، فكانت مدارس ناجحة ومتفوقة.

كما شاركت الأستاذة نفيسة في عدد كبير من منظمات المجتمع المدني، خاصة في قضايا الحركة النسوية السودانية، وكانت من مؤسسي الاتحاد النسائي السوداني عام ١٩٥٢م.

مجهوداتها البحثية والثقافية والإعلامية

للأستاذة نفيسة المليك بحوث ودراسات ومقالات ولقاءات إعلامية موثقة، حيث كانت مهتمة بقضايا المرأة، وكانت تحرض المرأة على ضرورة التغيير الاجتماعي ونبذ العادات الضارة، وقد كتبت بحثاً تحت عنوان: «أما آن لنا أن نستيقظ؟»

كما ساهمت في الكتابة في مجلة صوت المرأة، وشاركت في العديد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية والحوارات الصحفية.

أدوارها النضالية والوطنية والقومية

قاومت انقلاب الفريق عبود عام ١٩٥٨م، ورفضت التعامل مع مؤسساته السياسية.

كما شاركت في ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، وقاومت نظام انقلاب مايو ١٩٦٩م، ورفضت التعامل مع مؤسساته السياسية وواجهاته الكرتونية.

كما قاومت نظام ٣٠ يونيو ١٩٨٩م، ولم تعترف به، كما وقفت الأستاذة نفيسة المليك مع ثورة ديسمبر ٢٠١٨م، ودعمت النظام المدني الديمقراطي.

مواقف بطولية من أجل حقوق شهداء حركة ٢٨ رمضان والتمسك ببرنامجها الوطني

لعبت الأستاذة نفيسة المليك دوراً نضالياً مقاومًا لنظام الإنقاذ المتأسلم، وأيضاً فضحت مذبحة حركة ٢٨ رمضان في ٢٣ أبريل ١٩٩٠م، التي اغتيل فيها قادة التنظيم الوطني من ضباط وضباط صف وجنود القوات المسلحة، حيث تم اغتيالهم دون محاكمة عادلة.

وكان من ضمن الشهداء ابنها الضابط أكرم الفاتح، وقريبها ابن رفاعة قائد حركة رمضان، الفريق طيار خالد الزين علي نمر، حيث قالت عنه إن الفريق خالد الزين يعادل ألف بطل.

وفي نفس شهر اغتيال شهداء رمضان، أسست الأستاذة نفيسة، مع أسر الشهداء، تجمع أسر شهداء رمضان، الذي لعب دوراً نضالياً وسياسياً في التحريض ضد نظام الإنقاذ الدكتاتوري.

حيث تبنى تجمع الأسر برنامج حركة رمضان، الذي كان من أهم ركائزه استعادة واسترداد الديمقراطية، وحل القضايا الوطنية سلمياً، ووقف الحرب، وإلغاء كافة القوانين المقيدة للحريات، والمحافظة على وحدة واستقلالية البلاد، وإقرار وثيقة دستورية تكفل الحريات العامة وسيادة حكم القانون، والفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، واستقلال مؤسسات التعليم، وتطوير القوات النظامية المسلحة، وتعامل السودان الإيجابي مع قضايا الوطن العربي والمحيط الأفريقي، ومناصرة القضية الفلسطينية، ومناهضة العنصرية والصهيونية.

كما ظل تجمع الأسر يطالب باسترداد كامل حقوق الشهداء، والقصاص العادل، وتسليم رفات الشهداء لأسرهم، والكشف عن وقائع محاكمات الشهداء.

كما كان دار الأستاذة نفيسة المليك مقراً لاجتماعات أسر شهداء رمضان، بل لأكثر من ثلاثة عقود ظلت الأسر تقيم فعالياتها السنوية في ٢٨ رمضان بمنزلها بأمدرمان، الملازمين.

وفاءً وتكريماً لها رفعت أسر تجمع الشهداء علماً أسود على بوابة دارها بالملازمين، حداداً على رحيلها.

حقاً كانت الأستاذة نفيسة المليك أماً لكل الشهداء والأرامل والأطفال، وكانت امرأة كريمة ومن الزمن الجميل والأصيل.

قال الشاعر الغوث محمد:

ازرع جميلك وارحل غير منتظر
واترك بفعلك ما يغنيك من أثر

إننا لا نعزيكِ، أستاذة الأجيال الفاضلة نفيسة المليك، فحسب، وإنما نعزي الوطن وأمدرمان ورفاعة وأسر الشهداء. العزاء لأبنائها وبناتها: أيمن الفاتح، وأيسر، ورفاء، ووفاء، وسحر، ولأسرة حي الملازمين.

اللهم ارحم الأستاذة نفيسة المليك، أم الشهداء، وأكرم نزلها ومثواها.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

بين الحجب والكشف
النقاب سحر العيون وفلسفة الغموض

إحسان الله عثمان

قراءة جمالية..

يعد النقاب في الفلسفات الشرقية والموروث الثقافي رمزاً للستر والخصوصية، حيث يُنظر إليه كوسيلة لحفظ الجمال الداخلي والخارجي عن الأعين غير المستحقة، ونقل التركيز من الجسد والشكل الظاهري إلى جوهر الشخصية وعقلها وقيمها الأخلاقية.

فلسفة الستر والحضور

بعيداً عن الجدل الديني أو المجتمعي المعتاد، يحمل النقاب طابعاً جمالياً وتأملياً متعدد المعاني. هناك في عتمة القماش يغطي ليضيء، ويخفي ليثير، ويحجب ليمنح «سحر العيون» وحدها السلطة المطلقة.

مساحة مفتوحة تتجلّى فيها فلسفة الغموض؛ تصبح النظرة رسالة، والخفاء يحمل من أسرار الحضور أكثر عمقاً من الغياب. حضور محاط بهالة من التوق والاحتمال والجمال غير المعلن، يراوغ ويراكم رغبة الاكتشاف وجاذبية الأثر.

ويبقى النقاب موضوعاً مفتوحاً لكل من يراه قصة، ولكل من ترتديه رسالة؛ تقرأه الأعين كل بطريقته، ويكتبه الستر بأبجدية الغموض. وما بين الحجب والكشف تنبثق جمالية موحية لا تستهلك بسرعة ولا تختزل، بل تظل سراً معلقاً بين التأمل والافتتان، بين جمالية الغموض وسحر الحضور.

في الثقافات التي ترتدي فيها النساء النقاب، لم يكن غياباً بقدر ما كان حضوراً داخلياً؛ حضوراً للجمال المتخيل وللرغبة المؤجلة وللقصص التي تبدأ من نظرة عين؛ شهود في كثير من قصائد الشعراء والروائع والقصص، إذ كيف يمكن للثقافات والموروث الشعبي أن تجمل الغموض بسحر القوافي، وتصبح العيون مركز التواصل البصري ودعوة للخيال البشري ليبدع في رسم صورة الجمال المثالي المطلق.

علم النفس والجماليات

في علم النفس، يُعرف هذا بـ«مبدأ الندرة» الذي ينص على أن ما هو نادر أو غير متاح يصبح أكثر جاذبية وقيمة في عيون ونفس الناظر.

إضافة إلى ذلك، فإن «تأثير زيغارنيك» يشير إلى أن الأمور غير المكتملة أو المبهمة تبقى عالقة في الذهن أكثر من الأمور المكتملة، وهو مفهوم نفسي اكتشفته عالمة النفس السوفيتية بلوما زيغارنيك في عشرينيات القرن العشرين، وينص على أن الأشخاص يتذكرون المهام والمعلومات غير المكتملة أو غير المحسوسة بشكل أفضل من تلك المكتملة.

حضور النقاب والعيون في القصيدة العربية ثنائية جمالية وفنية عميقة؛ يتحول النقاب من غطاء مادي إلى عنصر إثارة وإيحاء، تبرز من خلفه «سلطة العيون» لتكون الناطق الأقوى باسم المشاعر والفتنة، وتتسع دلالاتها بين جماليات الحجب والتجلي.

في قصيدة الشاعر العربي الكويتي طلال السعيد، تجاوز الوصف الحسي المباشر للمحاسن إلى التخييل وبناء الصورة المجازية بين الحجب والتجلي وإشراقة سلطة العيون بديلاً عن الكلام بما فيها من الحذر والبريق وسحر القدرة والسطوة:

يا سعد لو تشوفه شيب ماني بشايب
لابسات البراقع يا سعد شيَّبني
ولعنّي بهواهن لين ذقت المصايب
خلوا دموع عيني فوق خدي سكايب
لين شفت البريقع طير العقل مني
قمت من غير ما اشعر بعالي الصوت اغنّي
ومن خزرني بعينه اونس القلب ذايب
عقب فرقا الحبايب ابعدن واتركنّي

هذا المبدأ يفسر لماذا تتحول العيون إلى مركز جذب يستحوذ على الاهتمام في الشعر والأدب، بل ويضفي عليه الخيال جمالاً قد يتجاوز الواقع، كما في قصيدة الشاعر السوداني المرهف عبيد عبد الرحمن:

العيون الفيهن نعاس
هن أساس معنى الجناس
هن يثيرن في الناس حماس
هن يقودو الزول للجنون
العيون البيض لو صفن
يجرحنك ويتلاطفن
مرة نظرن لي اوقفن
شالن نوم عيني وما انصفن
العيون السود كاحلات
في دلالن متهاملات
يجرحنك ما سائلات
يتركنك متجاهلات
يا حلاتن..

أبوظبي - أغسطس 2026

نظرية الشباك المكسور (1)

فخرالدين حسب الله

كنت أجلس أمام البيت في مدينة صغيرة اسمها باول (Powell)، على بُعد فركة كعب من كولومبوس، تحت شجرة لطيفة كنت أتناول قهوتي، اعتدت أن أجلس في ظلها.
وفجأة لفت انتباهي رجل سبعيني تقريباً، يتمشى مع كلبه.
كان الرجل أنيقاً، مرتباً، وفي كامل لياقته الرياضية، بل بدا لي، في تلك اللحظة، أكثر شباباً مني!
توقف الرجل فجأة، وأخرج كيساً صغيراً من جيبه، وانتظر حتى أنهى كلبه حاجته، ثم انحنى ونظّف الرصيف بعناية. فعل ذلك بهدوء شديد، ومن دون أن يلتفت حوله أو يبحث عن عين تراقبه أو رقيب يخشى منه.
المشهد في حد ذاته، بسيط جداً، وربما لا يستحق كل هذا التأمل. لكنه جعلني أفكر.
هنا كل شيء تقريباً موضوع في مكانه، البيوت، الشوارع، صناديق البريد، الأرصفة، المساحات الخضراء، النظافة... وحتى التفاصيل الصغيرة التي قد لا ينتبه إليها أحد. ليس المطلوب منك أن يأتي شخص ليقول لك كل مرة ماذا تفعل، إذ يكفي أن تعمل وفق ما استقر عليه المجتمع من قواعد وسلوك وثقافة عامة.
وفي لحظة، اشتغلت عندي تلك الذاكرة اللعينة!
بدأ شريط آخر يمر أمام عيني، ممنوع التبول يا ح.مار!
وضجيج الركشات: طررر... طررر...
الناكوس في مشروع الجزيرة، والعشوائية في السلوك، ومن يكوم بصقته ويقذفها كيف شاء، في الطريق، أي مكان أو قدام الناس، ومشاهد أخرى كثيرة مؤلمة.
قلت لنفسي: يا إلهي... كيف وصلنا إلى هذا الخراب في كل شيء؟
وهنا تذكرت نظرية الشباك المكسور (Broken Windows Theory).
ظهرت هذه النظرية واشتهرت في علم الاجتماع وعلم الجريمة من خلال مقال نشره عام 1982 الباحثان جيمس ويلسون وجورج كيلينغ. وتقوم فكرتها الأساسية، بصورة مبسطة، على أن علامات الفوضى والإهمال الصغيرة، إذا تُركت بلا معالجة، قد تشجع على ظهور مزيد من الفوضى والمخالفات.
تخيل مبنى فيه نافذة مكسورة، إذا بقيت النافذة مكسورة على حالها لفترة طويلة، ولم يُصلحها أحد، فقد يبعث ذلك رسالة ضمنية إلى الآخرين بأن المكان مهمل، وأن لا أحد يهتم بما يحدث فيه. وقد يؤدي ذلك إلى كسر نوافذ أخرى، ثم ظهور الكتابات على الجدران، وتراكم القمامة، والتخريب، ومع الوقت يمكن أن تتدهور البيئة الاجتماعية بصورة أكبر.
الفكرة هنا ليست أن نافذة مكسورة واحدة تؤدي حتمًا إلى جريمة خطيرة، وإنما أن الإهمال المتكرر قد يغيّر الطريقة التي ينظر بها الناس إلى النظام والقواعد وما هو مقبول وما هو غير مقبول.
وهنا تكمن أهمية النظرية بالنسبة لي.
فالمشكلة ليست دائمًا في المخالفة الكبيرة التي نراها في نهايات الطريق، وإنما ربما في التفاصيل الصغيرة التي سمحنا لها بأن تصبح عادية.
حين نتسامح مع مخالفة صغيرة، ثم أخرى، ثم أخرى، يبدأ معيار المقبول في التحول تدريجياً.
ما كان مستهجناً بالأمس يصبح عادياً اليوم.
وما كان عادياً اليوم قد يصبح مقبولًا غداً.
ثم يأتي وقت لا نعود فيه قادرين على تحديد اللحظة التي تغير فيها كل شيء.
وهذا ما يمكن أن نسميه تطبيع الفوضى؛ إذ يتحول السلوك المخالف من شيء يلفت الانتباه ويستوجب الرفض، إلى شيء مألوف لا يثير استغراب أحد.
وقد ينطبق الأمر نفسه، بصورة أوسع، على العنف والجريمة والفساد وانتهاك القانون. فحين تتكرر المخالفات ويصبح التعامل معها قائماً على التساهل أو اللامبالاة، تتغير الحدود النفسية والاجتماعية لما يعتبره الناس مقبولًا.
ولذلك، فإن حماية المجتمع من الانهيار لا تبدأ دائماً من معالجة الكوارث الكبيرة، وإنما قد تبدأ من أشياء تبدو تافهة جداً، رصيف نظيف، قانون يُحترم، قمامة تُرفع، مخالفة تُمنع، ممتلكات عامة تُصان، وسلوك غير لائق لا يتحول إلى عادة.
ومن هنا يمكن أن نقرأ كثيراً من الظواهر التي نعيشها في السودان من زاوية الشباك المكسور.
بل يمكننا أن نكبر الصورة أكثر، وننظر إلى المسألة على مستوى المجتمع والدولة، اجتماعياً، واقتصادياً، وثقافياً، وسياسياً.
ماذا يحدث عندما نتعامل مع الإهمال الصغير باعتباره أمراً لا يستحق الاهتمام؟
ماذا يحدث عندما يصبح خرق القانون أمراً معتاداً؟
ماذا يحدث عندما نتسامح مع الفساد الصغير، والعنف اللفظي، والفوضى، والتعدي على الحقوق، ثم نكتشف بعد سنوات أن كل هذه التفاصيل الصغيرة قد تراكمت لتصنع مشهداً أكبر بكثير من قدرتنا على السيطرة عليه؟
ربما لا يكون الشباك المكسور هو سبب الخراب وحده، لكنه قد يكون إشارة مبكرة إلى أن شيئاً ما بدأ في الانكسار.
وهنا، تحديداً، يبدأ السؤال الأهم:
هل كانت أزماتنا الكبيرة وليدة لحظاتها، أم أنها بدأت قبل ذلك بسنوات، من تفاصيل صغيرة لم نأخذها على محمل الجد؟ هذه مجرد مقدمة للدخول إلى عُصب الموضوع، وقد تكون هذه بداية سلسلة من التأملات حول الفوضى، والقانون، والثقافة، والمجتمع، وما يمكن أن تخبرنا به نظرية الشباك المكسور عن بعض ما جرى ويجري في السودان.
يتبع...

العلمانية في مواجهة دولة القبيلة

زكريا نمر

ليست العلمانية ذلك الشبح الذي يتربص بالإيمان كما يتخيلها بعضنا، ولا هي الوصفة السحرية الجاهزة لبناء دولة عادلة كما يروج لها بعض المتحمسين. بين هذا الخوف المبالغ فيه وذلك الحماس الأعمى، يضيع النقاش الجاد، ويتحول المفهوم إلى ساحة صراع رمزي أكثر منه موضوعاً للفهم والتحليل.

في التجربة الغربية، لم تولد العلمانية من فراغ، بل جاءت نتيجة مسار تاريخي طويل من الصراع بين المؤسسة الدينية والسلطة السياسية، ومن تحولات فكرية عميقة أعادت طرح سؤال الحرية والضمير وحق الاختلاف.

هناك كان السؤال بسيطاً في صياغته، عميقاً في دلالته: كيف نحمي إيمان الفرد من هيمنة الدولة، ونحمي الدولة من احتكار الحقيقة باسم الدين؟

لذلك ارتبطت العلمانية بفكرة المواطنة وسيادة القانون وضمان الحقوق، ولم تكن في أصلها حرباً على الدين بقدر ما كانت محاولة لتنظيم العلاقة بينه وبين السلطة.

أما في كثير من بلداننا، فقد دخلت العلمانية بوصفها مصطلحاً مستورداً، مثقلاً بحمولات سياسية واستعمارية، ومطروحاً غالباً من نخب معزولة عن المزاج الاجتماعي العام. لم تنبع من تطور داخلي طبيعي في بنية الدولة، بل قفزت إلى السطح كشعار جاهز.

لذلك كان من الطبيعي أن تستقبل بالريبة، لا لأن الناس يرفضون العدالة، بل لأنهم يخشون ضياع هويتهم أو إقصاء دينهم من المجال العام.

إن بعض المدافعين عن العلمانية يقدمونها بخطاب لا يقل إقصاءً عن الخطاب الذي ينتقدونه؛ يختزلون الدين في صورة جامدة، ويحملونه وحده مسؤولية التخلف والاستبداد، وكأن التاريخ السياسي في عالمنا لم يعرف استبداداً علمانياً أيضاً.

في المقابل، يختزل خصوم العلمانية الفكرة في عداء مطلق للدين، دون محاولة لفهم تنوع نماذجها وتجاربها المختلفة.

المشكلة الحقيقية ليست في المصطلح ذاته، بل في هشاشة الدولة وضعف مفهوم المواطنة.

الدولة التي ما تزال أسيرة القبيلة أو الطائفة لن تنقذها عبارة علمانية مكتوبة في دستورها. والمجتمع الذي لم يتدرب بعد على إدارة التعدد والاختلاف لن تُحل أزماته بمجرد فصل شكلي بين الدين والسياسة.

ما يربكني في أغلب النقاشات حول العلمانية هو طابعها الشعاري: أن تكون مع أو ضد، دون أن تسأل: أي علمانية نريد؟ وفي أي واقع؟ ولخدمة أي مشروع مجتمعي؟

هل نبحث عن حماية حرية المعتقد؟ أم عن تحجيم نفوذ المؤسسة الدينية؟ أم عن إعادة توزيع السلطة داخل الدولة؟

هذه الأسئلة الجوهرية غالباً ما تغيب، لتحل محلها معارك هوية حادة لا تنتج سوى مزيد من الاستقطاب.

أنا لا أرى العلمانية خصماً للدين، ولا أراها خلاصاً مطلقاً. أراها إطاراً من بين أطر متعددة يمكن أن تنظم العلاقة بين السلطة والمجتمع، نجاحه أو فشله مرتبط بصدق النوايا وبطبيعة السياق التاريخي والثقافي.

ما نحتاجه حقاً ليس استيراد المفاهيم ولا شيطنتها، بل تفكيكها وإعادة قراءتها بما يناسب واقعنا.

عندما نبني دولة قانون تحترم الإنسان بوصفه مواطناً قبل أي انتماء آخر، سيصبح النقاش حول العلمانية نقاشاً عقلانياً هادئاً، لا معركة وجودية حول الإيمان والهوية. عندها فقط يمكن للفكرة أن تأخذ حجمها الطبيعي، لا أكبر ولا أصغر.

تراجع المنتوج الثقافي
في وسائل التواصل الاجتماعي لماذا؟ (2-2)

محمد الأمين أبو زيد

أتاحت وسائل التواصل الاجتماعي جمهوراً لم يكن متاحاً بسهولة في الماضي.
فالشاعر يستطيع نشر قصيدته مباشرة، والفنان يعرض عمله لجمهور واسع، والباحث يستطيع مشاركة دراسته... إلخ.
لكن المشكلة عندما يصبح معيار نجاح العمل الثقافي هو حجم التفاعل معه، وليس قيمته الثقافية أو الفنية.
قد يحظى خبر سياسي أو مقطع مثير أو محتوى ركيك بآلاف المشاركات خلال ساعات، بينما لا يحظى مقال أدبي أو قراءة في ديوان شعري إلا بتفاعل محدود.
الجمهور يمنح وقته لما يثير اهتمامه بصورة فورية، والمنصة تدفع بالمحتوى الذي يحقق تفاعلاً أكبر.
الحرب في السودان كان لها أثر بالغ ونقطة تحول كبرى في المجال الثقافي، فقد تضررت المؤسسات الثقافية، وتشتت المثقفون والفنانون، وضعفت العديد من الأنشطة، وأصبح جزء كبير من الإنتاج الرقمي موجهاً نحو الحرب وآثارها، في توثيق الذاكرة السودانية والحياة اليومية أثناء الحرب.
السؤال: لماذا يتراجع المحتوى الثقافي الجاد؟
يمكن تصنيف الإجابة عن السؤال بخمسة مستويات:
(1) مستوى تقني:
الخوارزميات تفضل المحتوى الذي يجذب الانتباه بسرعة، مما يجعل الصورة والفيديو القصير أكثر قدرة على الانتشار من المقال الطويل.

(2) مستوى اقتصادي:
صاحب المحتوى أصبح يبحث عن المشاهدات والإعلانات والمتابعين، ولذلك قد يتجه إلى ما يحقق مردوداً سريعاً بدلاً من الاستثمار في مشروع ثقافي طويل الأمد.
(3) مستوى تعليمي:
متعلق بضعف القراءة والبحث والتكوين النقدي.
(4) ضعف المستوى المؤسسي:
يجعل الإنتاج الثقافي مشتتاً بين صفحات وحسابات فردية.
يقدم المشهد السوداني مفارقة مهمة: كلما ازدادت القدرة على النشر، لم تزد بالضرورة القدرة على إنتاج الثقافة.
التكنولوجيا توفر الأداة، لكنها لا توفر المعرفة والموهبة والمنهج.
إن أزمة المنتوج الثقافي ليست أزمة وسائل نشر، بقدر ما هي أزمة إنتاج وتكوين وذائقة ومؤسسات.
(5) الحرب والنزوح والأزمة الاقتصادية والاستقطاب السياسي:
وآثارها في شيوع خطاب الكراهية والتقسيم الاجتماعي أدت إلى تغيير أولويات الجمهور.
كيف تكمن المعالجة؟
أولاً: إنشاء منصات ثقافية سودانية متخصصة تجمع الأدب والفن والتاريخ والتراث.
ثانياً: دعم صناديق المحتوى الثقافي، وتقديم منح إنتاج الأفلام الوثائقية والبودكاست والمواد الأدبية.
ثالثاً: إعادة تقديم الثقافة بطريقة تناسب العصر ولغة رقمية جديدة لتقديم الأفكار العميقة.

رابعاً: استعادة دور الجامعات لتصبح مصدراً للمحتوى الثقافي الرقمي.
خامساً: بناء ثقافة رقمية جديدة تنتقل من «أعجبني» إلى «لماذا أعجبني؟».
إن وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن تصبح واحدة من أهم أدوات إعادة بناء الثقافة السودانية بعد الحرب، وتصبح المنصات ليست مجرد ذاكرة لاستهلاك الثقافة، وإنما ذاكرة رقمية للسودان.
تراجع المنتوج الثقافي في وسائل التواصل الاجتماعي لا يعني أن الثقافة السودانية فقدت قدرتها على الإبداع، وإنما يعني أن قواعد إنتاج الثقافة وتلقيها قد تغيرت.
التحدي الحقيقي أمام المثقف السوداني اليوم ليس فقط أن ينتج عملاً جيداً، بل أن يستطيع إدخاله إلى البيئة الرقمية دون أن يفقد قيمته وعمقه.
حينها تتحول وسائل التواصل الاجتماعي من عامل يساهم في تسطيح الثقافة إلى وسيلة فعالة في إحياء الثقافة السودانية.

كي لا ننسى... المبدع الراحل سامي سالم

زين العابدين الطيب عثمان

في مثل هذا اليوم من عام 2007 رحل عنا الأخ والصديق الكاتب والناقد والشاعر والقاص الأستاذ سامي سالم بعد مسيرة إبداعية وثقافية وإنسانية حافلة بالعطاء تركت أثرًا عميقًا في نفوس كل من عرفه وعاش تجربته وشاركه دروب الحياة والإبداع.
كان سامي سالم واحدًا من الأصوات الإبداعية المميزة من جيل الثمانينات ومن الكوكبة التي أسهمت في تشكيل المشهد الثقافي السوداني ومجموعاته في قاهرة التسعينات بعد المنفى. وكان جزءًا من تجربة ثقافية وإنسانية استثنائية جمعت عددًا من المبدعين السودانيين الذين حملوا هموم الوطن والإنسان وعبّروا عن أحلامهم وآمالهم بالكلمة والفكرة والإبداع.
وفي تلك المسيرة كان سامي حاضرًا بكتابته ونقده وشعره وقصصه وبحضوره الإنساني المميز. وقد شكّل مع رفاقه من مبدعي قاهرة التسعينات مخرجًا من سجن الداخل ومساحة رحبة للبوح والتعبير ونافذة أطل منها المبدعون على وطن ظل حاضرًا في القلب والذاكرة رغم البعد والاغتراب.
ولم يكن سامي مجرد كاتب أو شاعر أو ناقد بل كان إنسانًا محبًا للحياة وصديقًا وفيًا ومخلصًا للكلمة ومؤمنًا بأن الثقافة والإبداع يمكن أن يكونا طريقًا لمقاومة القهر وكسر العزلة وفتح نوافذ الأمل.
وفي ذكرى رحيله بعد تسعة عشر عامًا لا نستعيد سامي بالحزن وحده بل نستعيده بالمحبة والوفاء وبكل تلك الذكريات الجميلة التي تركها في نفوس أصدقائه ورفاقه ومحبيه. فالذين يتركون أثرًا حقيقيًا في حياة الآخرين لا يغيبون تمامًا بل تبقى كلماتهم ومواقفهم وذكرياتهم حاضرة مهما امتدت السنوات.
إلى رفيقة دربه الأخت أحلام إسماعيل حسن، وإلى أسرته الكبيرة وأهله وذويه، وإلى كل أصدقائه ومحبيه، وإلى رفاقه من المبدعين الذين شاركوه رحلة القاهرة وما سبقها من إبداع الداخل، وإلى كل من عرف سامي وأحبه وعاش تجربته، خالص العزاء وصادق المواساة.
نسأل الله أن يتغمد فقيدنا العزيز سامي سالم بواسع رحمته ومغفرته، وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة، وأن يسكنه الفردوس الأعلى مع الصديقين والشهداء والصالحين، وأن يجعل كل ما قدمه من كلمة وإبداع وعطاء في ميزان حسناته.
وكي لا ننسى: تبقى سيرته حاضرة في الذاكرة، ويبقى أثره حيًا في وجدان كل من عرفه وأحبه، وتبقى كلماته شاهدة على زمن كان فيه للإبداع معنى، وللصداقة قيمة، وللوطن مكان لا يغادر القلب.
رحم الله سامي سالم رحمة واسعة.
إنا لله وإنا إليه راجعون.

جماليات المكان

عبدالعزيز الجنيد

المكان له حضور دائم في ذاكرة الإنسان، وهذا الحضور يكون مرتبطًا بالأثر الذي يتشكل من أحداث أكثر تداخلًا في وحدة الزمان والمكان. ويقول علماء الجمال إن الأماكن تكتسب بعدها الجمالي من الأثر الذكرياتي المرتبط بهذا أو ذاك المكان.
لذلك نلاحظ أن الأماكن، كمفهوم، أصبحت حالة ذهنية في جغرافيا الخطاب الإبداعي بمختلف أجناسه الإبداعية: الخطاب الشعري، والقصصي، والتشكيل أيضًا. ولا أستثني الموسيقى، فالمكان في العمل الموسيقي يشكل حضورًا طاغيًا في أخيلة المستمع. (استدعاء المكان على مستوى التصور).
فعلى سبيل المثال، عندما عدت بعد سنوات من المنفى الاختياري، أول ما بدأت به هو البحث عن الأماكن المختزنة في الذاكرة الجمالية. فذهبت إلى مركز شباب الخرطوم غرب، ذلك المكان الذي كان مزدهرًا بالحركة الثقافية، وتحديدًا النشاط المسرحي، حيث كنت مشرفًا على شعبة المسرح في ذاك الزمان. وكانت الأمسيات مفعمة بمناخات الإبداع المتعددة: الموسيقى، والمسرح، والنشاط الرياضي.
ولكن كانت الدهشة أكثر حزنًا عندما وجدت أن المركز قد أصبح أثرًا بعد عين. تمت إزالته بالكامل، وقامت على أنقاضه بعض المحال التجارية. فازدادت قناعتي بأن المناخ لم يعد صالحًا للإبداع. وصراحة، الدولة التي تزيل صرحًا ثقافيًا لبناء محال تجارية لا أعتقد أنها قادرة على إنتاج أو تحقيق مشروع نهضوي. والحقيقة، هذا هو منهج الدولة الثيوقراطية منذ عصور الظلام في عصر ما قبل النهضة الأوروبية.
فحملت ذكرياتي وعدت بها، متلفعًا بالليل والصمت.
وأنا أتذكر مقولة أحد علماء الجمال: «إن اللحظة الجمالية تضيع وتفنى، ولكن هذا الفناء يؤسس في ذات الوقت لميلاد لحظة جمالية أخرى». إنه (ديالكتيك الجمال)، أي جدلية الجمال عبر فناء اللحظة الجمالية.

الجملة الناقصة

د. أشرف مبارك

ذات صباح خريفي في عاصمة تتقاطع فيها الذاكرة بالحلم، وتختلط فيها الشعارات القديمة بالغبار، صادف صديقي ـ الذي جاء من بلد ظل يلهث خلف الخلاص ـ رئيس بلاده يسير بلا حراسة تمنعه، فقد أومأ لهم بتركه بعد تفتيشه.

بدا الرئيس مرتاحًا، أنيقًا في بذلة مدنية من طراز حديث، يبتسم، وكان قد خرج تواً من إعلان بُث في عيد ثورته في التلفزيون عن «زمن جديد».

توقف صديقي لحظة قبل أن يقترب. لم يكن التردد خوفًا فقط، بل شيئًا يشبه وخز الذاكرة: أخ اعتقل لسنوات، مقال مُنع، ليلة طويلة قضاها في انتظار طرق عنيف على الباب.

ومع ذلك، لم يكن متأكدًا إن كان كل ذلك يكفي ليسقط زمنًا كاملًا في كلمة «بغيض».

اقترب أخيرًا، وقال بصوت مفعم بتعب يشبه الامتنان:

- سعادة الرئيس، شكرًا لكم... لقد أنقذتمونا.

توقف الرئيس برهة، وكأنه يستعيد كلمات حفظها جيدًا:

- نعم، أنقذناكم من ذلك النظام البغيض.

رفع صديقي حاجبه قليلًا، لكن هذه المرة لم يكن السؤال خالصًا، بل مثقلًا بشيء من الشك:

- لكن يا سيادة الرئيس... ممن؟ أو ممَّ أنقذتمونا بالضبط؟

أجابه بابتسامة نصف متعالية:

- من ذلك النظام الفاسد، ألم يكن مكروهًا لديكم؟

سكت الصديق لحظة. تذكر الوجوه التي كانت تهمس بالخوف، وأخرى كانت تصفق، وأخرى لا يعنيها شيء.

ثم قال ببطء:

- بعضنا... ربما. لكن هل كنا نحن جميعًا من يبغضه؟

- نعم... أنتم.

- ومن قال لك ذلك؟

- نحن شعرنا بذلك... إحساسنا كان صادقًا.

ابتسم الصديق، لكن ابتسامته كانت هذه المرة مشروخة:

- يا لصدق إحساسكم... نحن أنفسنا لم نكن نعرف ما نشعر به تمامًا.

أخذ الرئيس نفسًا عميقًا، وراح يستحضر قوالب الخطاب المعهودة:

- ألم تر؟ لقد كان نظامًا فاسدًا من رأسه حتى القاعدة.

هزّ الصديق رأسه، ثم قال وكأنه يراجع نفسه قبل أن يجيب:

- نعم... كان فيه فساد، وكان فيه خوف... لكن كانت فيه حرية، ونحن من انتخبنا رأسه. أو على الأقل... ظننا أننا نفعل.

ابتسم الرئيس تلك الابتسامة الماكرة التي يجيدها الساسة حين يختصرون كل حماقات الجماهير في جملة:

- إذاً كنتم مخطئين!

تردد الصديق هذه المرة أطول.

نظر إلى الشارع، إلى وجوه لا تعرف إن كانت قد خسرت شيئًا أو ربحت.

ثم قال بصوت خافت:

- ربما... كنا مخطئين. أو ربما كنا نحاول أن نكون على صواب بطريقتنا.

لم ينتظر الرئيس ردًا. ألقى نظرة إلى ساعته، كأنه تذكر أنه في وطن لا وقت فيه للحقيقة، ثم غادر مسرعًا.

بقي الصديق واقفًا هناك، تتنازعه جملتان لا تستقران:

«كنا مخطئين... نعم، كنا مخطئين...»

وكانت المدينة تستمر في دورتها الرمادية، لا تسأل كثيرًا عمن أنقذ من، ولا تهتم كثيرًا بمن أخطأ أولًا، ولا بمن يملك الآن حق تعريف الخطأ نفسه.

٤ أغسطس ٢٠١٨

بت تجنن

محمد نجيب محمد علي

بت تجنن

تسرقك منك تشيلك تجدعك فوق للسحاب..

تقلب الدنيا وتخليك لا هناك ولا هناك ..ولا هناك..

تكون معلق بين حضورك والغياب ..

بت وحيدة فريدةجاية من الطشاش الفينا

من غبش الحيا ..ولون المتاهات والعذاب

بت كتاب ..

تقرأهو من آخرو وتفتش لى بداياتو

وتتوه تغرق وسط موج السراب

بت ترجع ليك عمرك تانى من اول

وترجع تانى من اول شباب ..

من بيروت إلى بغداد:
كمال حسن بخيت.. صديق الغربة الذي لم يعرف الخصام

أحمد نصر

بيروت كانت أول مدينة أراها في حياتي بعد مغادرتي لبلادي الحبيبة، التي ودعتها في بواكير شبابي وسنين عمري التي لم تتجاوز العشرين عاماً وقتها. لم أمكث في بيروت طويلاً، رغم حبي لها النابع من افتتاني بها، ومجيئي إليها وأنا مسكون بحب فيروز ومحمود درويش، وصخرة الروشة، ومطابعها التي كانت تنتج ما تنتجه من روايات ودواوين شعر ودراسات ومجلات وصحف. كنت أنوي البقاء في بيروت.. ولكن!

عندما طلبوا مني التوجه إلى بغداد، حزمت حقيبتي الوحيدة، متوجهاً إلى الأردن ومنها إلى بغداد.

في بغداد التقيت كمال حسن بخيت، الذي كنت أقرأ له باستمتاع صحفياً لامعاً في «الأيام»، وفارساً لمنوعاتها وحواراتها الفنية. التقيت كمال رفيق غربة ونضال؛ احتواني باهتمامه وإخوته ونصائحه، وكان يعمل بصحيفة «الثورة»، وعملت أنا بصحيفة «الجمهورية». كنا نلتقي يومياً، فإذا لم يكن في شقته، كان ضيفي في شقتي، إلى جانب لقاءاتنا التي لا تنقطع في المهام والواجبات الأخرى وقتها.

كانت سيارته هي المتاحة للتجوال في بغداد، وزيارات الأصدقاء، وزياراتنا أنا وهو إلى حدائق بابل المعلقة، وسلمان باك، وإيوان كسرى، ومرقد الحسين... إلخ.

وترافقنا معاً في جبهات القتال في الح.رب العراقية الإيرانية، وكان ثالثنا الودود الراقي، الإعلامي القدير الأستاذ أحمد قباني، له الرحمة والمغفرة.

كان كمال كتلة من النشاط والحيوية، وصاحب علاقات واسعة مع كل مشاهير العراق في السياسة والثقافة والشعر والرواية، بل ومع مشاهير الوطن العربي في كافة المجالات. وكانت بغداد وقتها هي الملاذ والحضن الدافئ لكل أبناء الوطن العربي الذين كانت تخنق حياتهم أنظمة الحكم في أقطارهم. تتلاحق منتدياتها ومهرجاناتها وملتقياتها السياسية والثقافية والفنية.

وكنا نلاحق هذه الفعاليات دون أي إحساس بالتعب، وكان كمال يبدد أي إحساس بذلك بقفشاته والتقاطه للمواقف والتعليق عليها.

كان كمال يلاحقني بنصائحه وتعليماته الأخوية، وكان له رأي في بعض ما أقوم به. كان يضايقه سهري شبه اليومي، ويستغرب من التسكع الذي أمارسه ما بين شارع السعدون وحدائق أبي نواس. وعندما لا يستطيع أن يضبط إيقاعي على موجهاته، كان يدخل إلى شقتي ويحمل بعض «ملابسي وغياراتي»، ويقول لي آمراً: «يلا»! وتكون الوجهة شقته، لأقضي معه نحو أسبوعين وفق ضوابطه غير المكتوبة.

عملت معه في مكتب مجلة «الوطن العربي» ببغداد، الذي كان مديره. لم يكن كمال يريد أن يتركني لأي وقت فراغ؛ لذلك كانت أوقاتي ما بين الصحيفة والمجلة والحوارات والمنتديات... إلخ.

اختلفنا أنا وهو كثيراً، واتفقنا. وكانت خلافاتنا تنتهي بانتهاء النقاش. وكنت عندما «أزعل منه وأنقطع» نتيجة خلاف ما، يأتيني مبادراً، تسبقه ضحكته: «يا قدة.. إنت يعني زعلان؟ أرح نكمل الزعل الشايلو ده»!

لا يعرف الخصومة، ولا «يشيل» في قلبه أو دواخله. أقصى ما يملكه عتابه، وبأسلوبه هو.

وكمال، كما هو معروف، تقلد منصب رئيس التحرير في عدة صحف، ومديراً لمكاتب عدة صحف عربية، وكان له الفضل في دعم الكثير من الأقلام الشابة، التي أتاح لها أوسع الفرص، وشجعها وعزز ثقتها بنفسها، مثلما فعل ذلك مع الكثير من الفنانين والشعراء والكثير من الأسماء الإذاعية والتلفزيونية.

كمال كان ودوداً وإنسانياً، طيب القلب، ضحوكاً، ترافقه قفشاته والتقاطه للمواقف والتعليق عليها.

موجع هو رحيله. أحزنني وأبكاني، لكنها إرادة الله ومشيئته. سأفتقده صديقاً عزيزاً قريباً إلى نفسي، ونفتقده قلماً متمكناً ورشيقاً، وصحفياً له اسمه وتاريخه في كتاب الصحافة السودانية.

له الرحمة والمغفرة وجنة الخلد.

الصادق الأمين: فجر غير وجه التاريخ

مصطفى عبدالملك الصميدي

في عالمٍ كانت الجاهلية قد أحاقتْ الإنسان بسياجها الشائك؛ عالم أقام للقوة عرشاً وللضعف هامشاً، وجعل الظلم عُرفاً والجاه ميزاناً والصنم وسيطاً، ولد العظيم محمد صلوات ربي وسلامه عليه معجزةً لتغيير وجه الصحراء ومن يمشي عليها؛ كأنما أراده الله في قلبها اللافح بذرةً طيبة سيتسع ظلها حتى يفِيء إليها الإنسان في كل زمان ومكان، ليكتشف بعده التاريخ أن السماء استطاعت أن تلج في قلب رجل، وأن قلب رجل استطاع أن يكتب للأرض عهداً جديدا.

هكذا في عالمٍ كان مثقلاً بليلٍ طويل، انبلج فجر سرمدي يهدي الإنسان كيف يكون على نفسه بصيرة قبل أن يعلم العيون رؤية الأشياء على حقيقتها.

جاء إلى الدنيا يتيم الأب، ولعل في اليُتم الذي سبق خطواته الأولى عِبرة لا تخلو من جمالٍ عميق: أن الذي سيصبح مأوى لقلوبٍ اليتامى والمستضعفين لم يستهل حياته مستنداً إلى ظهيرٍ من أهل الأرض، لكن الله هيّأه ليعرف المعنى وراء بحث الإنسان عن الأمان، ووجع من تاه في العراء ولم يجد كفاً تمسح عن روحه وحشة اليُتم.

ترعرع الصادق الأمين في مكة، بينما كانت الأصنام تتعاظم في أكنافها، لكنه كان يحمل في سيرته الطاهرة مرآة صافية للقيم والمبادئ والأخلاق. يرفض الكذب ويأنف من الظلم ويعلو عن أخلاق قومه. يمشي وفي قلبه أمانة السماء، وفي عينيه رحمةٌ تتسع للإنسان قبل أن يسأل عن هويته؛ فاجتمعت فيه قوة الرسالة ورقة الإنسان، ومهابة النبي وبساطة العبد، وعلوّ المقام وصفاء القلب.

خرج من الغار يحمل صدراً يفيض بالنور وقلباً يملؤه اليقين ولساناً يسبقه الصدق ورسالةً أثقل من الرواسي وأرحب من الأرض. لقد أُوقد في قلبه مصباحٌ لا تعرف الرياح إليه سبيلاً؛ فانطلق بالقرآن يهدم مقام الحجر المؤلَّه في قلوب الأنام؛ من كِبرٍ وعصبيةٍ واستعلاءٍ وخوف، ليحرر الإنسان من جاهليته ويردّه إلى فطرته. مضى بين الناس كغيمةٍ لا تسأل الأرضَ عن لونها قبل أن تمطرها بغيث الرحمات، ووقف في مكة عالي الجبين بشعار التوحيد "لا إله إلا الله". أُوذي فلم ينطفئ وحُورب فلم ينحنِ وحُوصر فلم يضق صدره وظل الألم في يده امتحاناً، فكان أرحم من أن يطفئه الأذى وأنقى من أن تلوثه الضغائن.

هاجر إلى المدينة وفي أعماق روحه حبّ مكة سراً أودعه الله، فكلما ابتعد عنها ظلّت تسكنه كوطن لا تحدّه المسافات. كانت الطريق أقصر من خفقة قلبٍ اهتدى إلى الغاية قبل أن يبلغها، فدخلها وإذا بالأرض قد حفظتْ له موضعاً في حناياها منذ أن طحاها الله. خلّف في ترابها أثراً أبعد من أن تمحوه السنين، وفي ذاكرتها صوتاً كلما خفتتْ الدنيا انبعث في وجدانها يقيناً لا يطاله شك. ذلك هو أسمى الفتوحات وأعظمها؛ أن يبدأ الفتح من قلب رجلٍ يقف بين الناس ولا يطلب منهم إلا أن يهتدوا بإذن الله.

ختاماً، ظل نبينا الكريم في قلب التاريخ كالنهر الذي لا ينتهي عند ضفة؛ كلما ظن الناس أنهم بلغوا آخره وجدوا فيه معِيناً متجدداً من المعاني: يتيمٌ يجسد الرحمة، وفقيرٌ يصون العزة، ومطاردٌ يرسخ الثبات، وقائدٌ يضرب أروع أمثلة التواضع، ورسول يهدي الإنسان إلى أن يكون عبداً لله، حراً من عبودية ما سواه. ذلك هو الفجر الذي لم يكتفِ بأن يبدد الظلام؛ فعلّم الذين خرجوا من الظلام كيف يصنعون لأنفسهم بصائر تفرق بين ما هو حق وما هو باطل.

رحلتي إلى "الرحلة أنثى"

النور أحمد

نصٌّ خارجٌ عمّا تواضعت عليه من تعريفات الأجناس الأدبية في قواميس النقد الأدبي. هذه الكتابة لا تنتظر أن تُقاد، ولكنها تقود. وهي أيضاً، ليست بحاجة إلى من يقدّمها للقارئ، ولكنها تقدّم نفسها في جرأةٍ ومكر. فهي وسيط نفسها غير المحايد، عندما يتعلق الأمر بتجاوز العادي والمطروق، أو عند موت همة الخلق.

لذلك: وأنا أتهيأ للدخول إلى فضائها، تفكرت مبتدئاً في تاء تأنيث هذه الرحلة الكتابية، ولمحت فخاً مموهاً في هذه التاء؛ قد يقودني إلى وكر نمر الكتابة، المتربص دائماً بالغفلة، ومدمني السهو القرائي. وعندما توغلت في شعابها، تأكدت من ارتياباتي، في أنثويتها - الكتابة -، بذريعة تاء التأنيث المعلقة على قفاها كقفير النحل، فقلت لنفسي إن هذا الفخ، حتماً سيقودني إلى ملاحقة أنثى متوهمة؛ أنثى كتابية مراوغة، تتخفى في براعة اللغة، وفي الجرأة على تجاوز المألوف، وجموح الخيال الذي يفتك بالمتواضع من الأخيلة دونما رحمة.

هذه الكتابة لن تجد فيها الأنثى المتواضع عليها اجتماعياً، ولكن من المؤكد أنك ستجد أنثى الكتابة. وهي أنثى نادراً ما اهتم بها القراء أو النقاد! فهي لا تُرى إلا في غيم المجاز، أو كثافة الاستعارات! لذلك نزعت كل أردية العادي والميت من المتوافق عليه من ألبسة القراءة. وتخليت عامداً عن لغة القواميس وتوابيت اللغة، وقلت: هذه كتابة لا تدخلها إلا كفاحاً مسلحاً بوعي عنيد، ومعتمداً المواجهة مع لغة تخلت عن وقارها الاجتماعي ومشت في طريق الخروج.

ستة وأربعون نشيداً تتكون منها جغرافية هذه «الكتابة»، يختتمها منتصر ليؤكد مكيدته عند العتبة الأولى لهذه «الكتابة»: «الأنثى هي التي تتصدر فكرتي كل الصباحات، هي المبتسمة في جواري بلا مغالاة ولا غيبوبة... هي وحظي بهما فقط..46». وبذلك يعقد ما بين باب الدخول وعتبة الخروج، ماراً بكل تضاريس ومنحنيات النص؛ فأراه يمعن في تمتين الفخ - فخ الأنثوية -.

تتفاوت الأناشيد المشيدة لهذا البناء الكتابي، طولاً وقصراً. وما بين الشذرة: «لا تدوري بالرقص.. هناك مؤامرة كونية تحدث في استدارة خصرك»، وبين نشيد يسكن صفحة كاملة من صفحات الكتابة، ويتواصل تفجّر اللغة ومتاهات المجاز والصور الشعرية المارقة.. تدهش.. تبهر.. ولا تغادرك قبل أن تملأك حيرةً.

في هذه «الكتابة» المتداعية، تصطدم بالأخيلة فوق العادي والمتآلف عليه في دنيا الكتابة. وقد تصطدم كثيراً بتاء التأنيث المضللة، حيث إنك لن تلتقي إلا بالتأنيث الذي لا تعرفه، والذي اخترعه منتصر إرواءً لشغفه بالغريب! ورغبته في التجاوز.

ستضل إن رحت تبحث في هذه «الكتابة» عن ما تعرفه، حيث إن كاتبها مهووس بما لا يعرفه سواه، سواءً على مستوى استعمال اللغة، أو الأخيلة التي تراوده في صحوه وسهوه.

وقلت لنفسي، ستضلّ أكثر إن نفرت من قساوية اللغة، والجامح من الأخيلة، والتي يرتكبها منتصر بغاية النجاة بكتابته من مستهلك، والمتفق عليه!

ولذلك لن تجد مبتغاك في ما يرقنه هذا الكاتب. فإن نفرت مستجيباً لذائقتك العادية فاتك خيرٌ ثقافيٌّ وفيرا! وذلك حين اصطدامك بـ«.. هناك شيءٌ فادح يسندني، لعلّه قميصك الغارق في العطر»، أو «من يرتجز كبحيرة هائجة»، أو «كيف تهرع خطوتي وأنا يسكنني كل هذا الرمل الملتاع»، فإما أن تخترع مكيدة للتعامل الآمن مع هذه «الكتابة»، أو ستقع فريسة سهلة لنمر الكتابة، والذي يتربص بالقارئ عند كل منحنى منها، وذلك يحول بينك وبين الخير الإبداعي المتمكن من أوصال هذا النص المترع بالأخيلة والاستعارات والمجازات والصور الكتابية المخترعة، ويتركك جثة لا تصلح إلا لسكنى الموت! في كنف العادي المتفق عليه.

وأنا أفارق عاديتي داخلاً حديقة هذه «الكتابة»، أتحمل كامل وزر معاناتي التي لاقيتها في الطريق إلى اختراع نسختي من هذه «الكتابة» والتي توافق مزاجي القرائي، دون الالتفات إلى نوايا الكاتب، وإن كنت أعوّل عليها كثيراً ذريعة لاحترامه.

عزيزي المغامر، والداخل متاهة هذه «الكتابة»؛ أنت أمام مُغلقٍ مفاتيحه معك، وليست في «بسطام»، إنها ليست مخبأة داخل المتن، برغبة التمويه! ويمكنك إن فتحت باب الخروج - دون تهيب - على العادي والمتفق عليه من أبواب القراءة، ودلفت تجاه المختلف عليه؛ أمكنك اختراع نسختك التي تطمئن إليها من هذه «الكتابة» والتي تتوافق ومزاجك الثقافي في يسرٍ، وتكون بذلك قد ساهمت في قراءةً مبدعة قد تسعد الكاتب و«الكتابة».

من جحيم الحرب إلى مصائد الانحراف:
شباب السودان في مواجهة عدو أكثر خطورة

عبدالمنعم مختار

لم تكن الحرب السودانية "البائسة" مجرد رصاصٍ ومدافع ومسيرات وبيوتٍ تُهدم وعفش وثروات تُشفشف ومدنٍ تُفرَّغ من سكانها فقط، فهناك على صفة أخرى حرب مختلفة وإن كانت أكثر هدوءاً، لكنها قد تكون أشد فتكاً بالمستقبل: حربٌ تستهدف الإنسان من الداخل ومن أعمق نقطة، تطارد جيلاً كاملاً عبر اللجوء والتشرد والانكسار النفسي والاجتماعي.

الشاب السوداني الذي نشأ في مجتمع محافظ، تحكمه الأسرة والجيرة والمسجد والمدرسة وحكمة الشيخ ووصايا الحبوبات ورمضان والتراويح وتلاوة القرآن والسحور واحتفالات الأعياد واللهو البريء، وجد نفسه فجأة خارج بيئته، في دولٍ تختلف في قوانينها وعاداتها وتقاليدها وأنماط حياتها وإيقاع حركتها الزمنية عما عاشه وآلفه. وماً كان يراه في السودان بعيداً أو محرماً ومن رابع المستحيلات، أصبح أمام عينيه قيد أنملة منه متاحاً ومفتوحاً: بارات، خمور، سهر دائم حتى الفجر، كابريهات، تعرٍّ، حشيش ومخدرات، علاقات عابرة، وبيئات اجتماعية لا تشبه كثيراً ما آلفه.

المشكلة ليست في اختلاف تلك المجتمعات عن مجتمعاتنا، ولا في إدانة شعوبٍ تستضيف اللاجئين، وإنما في صدمة الانتقال نفسها؛ شابٌ بين ليلة وضحاها فقد وطنه، ومدرسته أو جامعته وصحبة رفاق العمر وعمله وأسرته أحياناً، ونمط حياة تعود عليه وفي نفس الوقت يحمل في داخله خوف الحرب ومرارة اللجوء، ثم يجد نفسه أمام عالم جديد بلا رقابة أسرية ولا سند اجتماعي. هنا يصبح الفراغ أرضاً خصبة للحشيش والمخدرات والإدمان والاستغلال والعنف والجريمة والانحراف، وقد يتحول الهروب من جحيم الحرب إلى جحيم آخر أكثر خفاءً.

تشير تقارير صحية إلى أن الحرب والنزوح في السودان تسببا في أزمة إنسانية وصحية هائلة، وأن ملايين السودانيين اضطروا إلى مغادرة البلاد، فيما تواجه الدول المضيفة ضغوطاً كبيرة على أنظمتها الصحية. كما تشير بيانات منظمة الصحة العالمية إلى مؤشرات مقلقة بشأن الصحة النفسية وسط النازحين، بما في ذلك الاكتئاب والقلق واضطراب ما بعد الصدمة، في وقتٍ لا تزال فيه بيانات الإدمان محدودة.

وفي هذا المناخ يصبح خطر الأمراض المنقولة جنسياً، ومنها فيروس نقص المناعة البشرية "الإيدز"، جزءاً من المشهد الذي يحتاج إلى مواجهة علمية لا إلى الصمت أو الوصم. وتؤكد UNAIDS أن الوقاية والفحص والعلاج المبكر أدوات أساسية للحد من انتقال الفيروس، وأن الأشخاص الذين يعيشون مع الفيروس يمكنهم، مع العلاج، الوصول إلى كبت فيروسي يحمي صحتهم ويقلل انتقاله.

الأخطر أن يعود الشباب إلى السودان محملين بجراح لا تظهر في صور الحرب. قد يعود أحدهم مدمناً، أو مضطرباً نفسياً، أو مصاباً بمرضٍ يحتاج إلى علاج، أو حاملاً لسلوكيات جديدة اصطدمت فجأة بقيم مجتمعه القديم.

لذلك فإن معركة السودان القادمة ليست فقط إعادة إعمار الطرق والمستشفيات والمدارس والجامعات والخدمات الأساسية، بل إعادة بناء الإنسان نفسه: مراكز للشباب، علاج نفسي، برامج لمكافحة الإدمان، توعية صحية، فحوصات طوعية وسرية، دعم اجتماعي، وفرص تعليم وعمل تعيد للشباب معنى الحياة والانتماء.

فإذا كانت الحرب قد هدمت البيوت، فعلينا ألا نسمح لها بأن تهدم الجيل الذي كان يفترض أن يبنيها من جديد.

مهادن الزعيم

ونسة

في ناس كتار بمروا علينا في حياتنا؛ فيهم البخلّدوا ذكرى، وفيهم البمشي ساي. لكن في ناس بفضّلوا محفوظين جوانا بحاجة بسيطة: لحن عجبنا، نص شعري بنحبّه سوا، أغنية بتشبهنا... وكل ما تصادف الحاجة المشتركة بينكم دي، بتنط شخصية الزول الكان بشاركك حبها في راسك. والحاجة دي ح تستمر معاك للأبد، حتى لو كل زول فيكم مشى في اتجاه.

¶ في ناس كتار ارتبطوا في ذهني بحاجات بسيطة. مثلاً، كل ما أسمع مدحة البرهانية بتاعت «الحب كنز والصفاء مفتاح»، بجي في راسي رفيقي حسن بكري. وبرضو لو قابلت حسن، بتذكر المدحة؛ يعني الاتنين بقوا عندي بنفس المعنى. وبرضو لو سمعت موسيقى الطوارق في أي حتة، بتلفت أفتش صاحبي يوسف وين؛ لأنه مهووس بأغاني الطوارق.

¶ صديقي ورفيقي عثمان الجعلي، كل ما أسمع عصام الطيب، بتجسد عثمان قدامي؛ لأنه هو أول زول سمعني مدحة «السراي» لعاصم الطيب. وبقينا كل ما نتقابل ونقعد جمب بعض ونسمع المدحة بسماعة سلك، كل واحد يشيل فردة، ونفضل ساكتين ونحن بنسمع. وممكن عادي نسمع المدحة دي ساعة كاملة من غير ما نتكلم مع بعض ذاتو.

¶ لو جاتني رسالة من أي رقم غريب أو حساب غريب، مكتوب فيها: «قالت غيمة (بين قوسين غيمة لئيمة) أطفال الشارع فهرست لي كل المدن»، بعرف إنو دا بابكر شيركو، مع إننا لينا سنين ما اتقابلنا ولا سمعنا صوت بعض. وبرضو لو ماري في أي حتة وسمعت صوت محمود درويش، بتجي في بالي آمنة حماد ونقاشاتنا الجميلة حول «الجدارية» وباقي أشعار درويش.

¶ عندي صاحبي من بورتسودان اسمه محمد جمال، بتذكّرو بأبيات شعر كتبها أحمد فؤاد نجم، بتقول: «ممكن أعرف مين الأول بيكلمني؟ نحن نيابة أمن الدولة... دولة مين؟ دولة مصر... مصر العِشّة ولا القصر؟»؛ لأنو صاحبي دا كان بيرددها كتير، واشتركنا سوا في حب أحمد فؤاد نجم. أما صديقي السيد العال، مجرد ما أشوفو بتذكر الدوش، ولو سمعت الدوش بتذكر سيد. وحاسي إنو في رابط بينهم بتمثل في بساطة المفردة وقوتها عند الاتنين؛ عشان كدا عقلي الباطن ربطهم سوا.

¶ الخلاصة: مش كل الناس بتركو جوانا ذكريات شينة. فياريت نفتش عن الحاجات الحلوة الكانت بينا وبين أي زول كان أو ما زال جزء من حياتنا، ونخلي الحاجة دي هي العنوان البِنحفظو بيهو ونتذكرو بيهو، مهما كانت تقلبات الأيام وغدر الزمن.

سلام ومحبة.